

تفسير البحر المحيط

@ 264 @ إن ذلك على طريق الاستثناء الذي ندب الشرع إلى استعماله في كل كلام ، فهو على نحو قوله : { لَتَذْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ } استثناء في واجب ، وهذا الاستثناء هو في حكم الشرط كأنه قال : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فليس يحتاج أن يوصف بمتصل ولا منقطع . وقيل : هو استثناء من طول المدة ، وذلك على ما روي أن جهنم تخرب ويعدم أهلها ، وتخفق أبوابها ، فهم على هذا يدخلون حتى يصير أمرهم إلى هذا ، وهذا قول محيل . والذي روى ونقل عن ابن مسعود وغيره : أنها تخلو من النار إنما هو الدرك الأعلى المختص بعصاة المؤمنين ، وهو الذي يسمى جهنم ، وسمى الكل به تجوزاً . وقيل : إلا بمعنى الواو ، وفمعنى الآية : وما شاء الله زائداً على ذلك . وقيل : في هذه الآية بمعنى سوى ، والاستثناء منقطع كما تقول : لي عندك ألفا درهم إلا الألف التي كنت أسلفتك ، بمعنى سوى تلك الألف . فكأنه قال : خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ، سوى ما شاء الله زائداً على ذلك ، ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى بعد هذا : عطاء غير مجذوذ ، وهذا قول الفرّاء . وقيل : سوى ما أعد لهم من أنواع العذاب مما لا يعرف كالزمهرير . وقيل : استثناء من مدة السموات والأرض التي فرطت لهم في الحياة الدنيا . وقيل : في البرزخ بين الدنيا والآخرة . وقيل : في المسافات التي بينهم في دخول النار إذ دخولهم إنما هو زمراً بعد زمر . وقيل : الاستثناء من قوله ففي النار ، كأنه قال : إلا ما شاء ربك من تأخير قوم عن ذلك ، وهذا قول رواه أبو نصره عن جابر ، أو عن أبي سعيد الخدري ، ثم أخبر منبهاً على قدرة الله تعالى فقال : إن ربك فعال لما يريد انتهى . وقال أبو مجلز : إلا ما شاء ربك أن يتجاوز عنه بعذاب يكون جزاؤه الخلود في النار ، فلا يدخله النار . وقيل : معنى إلا ما شاء ربك كما شاء ربك قيل : كقوله : { وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النَّسَاءِ إِلَّا مِمَّا قَدْ سَلَفَ } أي كما قد سلف . وقرأ الحسن : شقوا بضم الشين ، والجمهور بفتحها . وقرأ ابن مسعود ، وطلحة بن مصرف ، وابن وثاب ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائي ، وحفص سعدوا بضم السين ، وباقي السبعة والجمهور بفتحها . وكان علي بن سليمان يتعجب من قراءة الكسائي سعدوا مع علمه بالعربية ، ولا يتعجب من ذلك إذ هي قراءة منقولة عن ابن مسعود ومن ذكرنا معه . وقد احتج الكسائي بقولهم : مسعود ، قيل : ولا حجة فيه لأنه يقال : مكان مسعود فيه ، ثم حذف فيه وسمى به ، وقال المهدوي : من قرأ سعدوا فهو محمول على مسعود ، وهو شاذ قليل لأنه لا يقال سعده الله ، إنما يقال : أسعده الله . وقال الثعلبي : سعد وأسعد بمعنى واحد ، وانتصب عطاء على المصدر أي : أعطوا عطاء بمعنى إعطاء كقوله : }

وَاللَّهِ أَتَبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ زَبَاتًا { أي إنباتًا . ومعنى غير مجذوذ : غير مقطوع ، بل هو ممتد إلى غير نهاية .

2 ({ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْجِدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْجِدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْجِدُ آبَاؤُهُمْ مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُؤَوَّفُوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّا لَهُم لَفَى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ * وَإِن كُلاَّ لَلَّامًّا لَّيُؤَوَّفَيْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّا نَظَرُ بِمَا يَعْْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَاسْتَخْلِفْهُمْ كَمَا أَفْرَدْتِ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّا زَاهٍ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ السَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ * وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * فَلَوْ لَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مَن قَبِلَكُمْ أُولُواْ بِقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ